تشكيل الصور التشبيهية في ديوان نبضات أمتي للشاعر حسب الله مهدي فضلة (دراسة بلاغية نقدية)

The Formation of Simile Images in the Collection Nabadat Ummati by Poet Hasballah Mahdi Fadlah: A Critical Rhetorical Study

د. محمد مختار أحمد خِيار: دكتوراه في الأدب والنقد، محاضر بجامعة آدم بركة أبشة، تشاد.

Dr. Mouhamad Moukhtar Ahmed KHAYAR: PhD in Literature and Criticism, **and** Lecturer at Adam Barka University, Abeche, CHAD.

Email: khayarmoukhtar@gmail.com

DOI: https://doi.org/10.56989/benkj.v4i8.1235

الملخص:

تناول البحث موضوع التصوير التشبيهي ودلالاته في شعر حسب الله مهدي فضلة عنواناً لبحثه هذا، والذي سيدرس فيه كل أنواع الصور التشبيهية دراسةً تطبيقية تتجلى من خلالها مختلف الأساليب التي سلكها الشاعر لتوضيح فكرته عبر هذا النوع من أنواع التصوير البياني. وكانت الإشكالية المنهجية تتمثل في السؤال الآتي: هل للتشبيه وجود ودور في شعر حسب الله مهدي فضلة؟ وما نوع التشبيهات التي كان يعتمد عليها الشاعر للتعبير عن المعاني والمدلولات التي يريدها؟ وقد اختار الباحث لهذه الدراسة المنهج الصفي الذي يعتمد التحليل والاستقراء والإحصاء من أدواته، مع الالتزام بالموضوعية والحياد في جميع مراحل البحث. وقد توصل الباحث من خلال ذلك إلى النتائج الآتية: إن الشاعر قد استخدم التشبيه بألوانه الحسي والعقلي والمختلف هو أكثر أنواع الصور وروداً في شعره، أما في التشبيه الحسي فإنّ تشبيه المبصر بالمبصر هو الأكثر شيوعاً، ثم يليه الملموس بالملموس، ثم المذوق بالمذوق، وأخيراً المسموع بالمسموع وهو نادر. كما أن تشبيه المفرد بالمفرد هو الغالب، ثم يليه المتعدد فالمركب. أما في وجه الشبه فإنّ التشبيه المفصل أكثر شيوعاً من المجمل، وهذا دليل على إيضاح الشاعر للصورة، كما أن تشبيه التمثيل نادر في حين أن التشبيه غير التمثيل هو الشائع. أما في أداة التشبيه فإنه كان يستخدم التشبيه المؤكد أكثر من المرسل والمرسل أكثر من البليغ، مما يدل على قصر الصور ووضوحها.

الكلمات المفتاحية: التشبيه، تصوير، تشكيل، شعر حسب **الله.**

Abstract:

The research dealt with the topic of metaphor and its connotations in the poetry of Hasaballah Mahdi Fadhla as the title of this research, in which he will study all types of metaphors in an applied study through which the various methods used by the poet to clarify his idea through this type of graphic imagery are revealed. The methodological problem was represented in the following question: Does metaphor exist and play a role in the poetry of Hasaballah Mahdi Fadhla? What type of metaphors did the poet rely on to express the meanings and connotations he wanted? The researcher chose for this study the classroom method that relies on analysis, induction and statistics as its tools, while adhering to objectivity and neutrality in all stages of the research. Through this, the researcher reached the following results: The poet used metaphor in its

sensory, rational and different colors, which is the most common type of images in his poetry. As for sensory metaphor, the metaphor of the seen with the seen is the most common, followed by the tangible with the tangible, then the tasted with the tasted, and finally the audible with the audible, which is rare. The comparison of the singular to the singular is the most common, followed by the multiple and then the compound. As for the point of comparison, the detailed comparison is more common than the general, and this is evidence of the poet's clarification of the image. Also, the comparison of representation is rare, while the comparison of non-representation is common. As for the tool of comparison, he used the confirmed comparison more than the sent and the sent more than the eloquent, which indicates the brevity and clarity of the images.

Keywords: comparison, depiction, formation, poetry of Hasab Allah.

المقدمة:

تعد هذه الدراسة ضمن الدراسات البلاغية النقدية التي تعنى بدراسة ونقد ديوان الشاعر التشادي حسب الله مهدي فضلة، وذلك من الناحية البلاغية التي خصصتها للنظر في صوره التشبيهية بزواياها المختلفة مصحوبة بالنقد الموضوعي لإبراز قيمتها. وتبيين مدى قدرة الشاعر على توظيفها، فوجدتها كثيرة ومتنوعة شملت معظم مكونات الصور التشبيهية التي وضعها البلاغيون، ثم احصيت كل نوع منها لاتبين تفوتها على أخواتها في هذا المجال، ثم حاولت تفسير كل نتيجة مؤقتة لأجعل منها نتيجة شاملة لهذه الدراسة، وكان كل ذلك في إطار الإجابة عل إشكالية هذه الدراسة.

تتمثل إشكاليات البحث في الإجابة على السؤال المحوري الآتي: هل للتشبيه وجود ودور في شعر حسب الله مهدي فضلة؟ وما نوع التشبيهات التي كان يعتمد عليها الشاعر للتعبير عن المعاني والمدلولات التي يريدها؟

سلك الباحث في دراسته لهذا الموضوع المنهج الوصفي التحليلي، مستعيناً في ذلك بالمنهج الاستقرائي الذي تم فيه عرض الظواهر قبل تحليلها واستنباط النتائج منها، وكذلك المنهج

الإحصائي لحصر الصور وتوضيح نِسَبِها المتفاوتة، مع الالتزام بالموضوعية والحياد في جميع مراحل البحث.

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على أساليب الصورة التشبيهية في شعر الشاعر التشادي حسب الله مهدي فضلة من ديوانه: (نبضات أمتي)، ودراستها دراسةً بلاغية نقدية تطبيقية. واتبع الباحث أثناء الدراسة المنهج الوصفي التحليلي مستعيناً في ذلك بالمنهج الاستقرائي الذي تم فيه عرض الظواهر قبل تحليلها واستنباط النتائج منها، وكذلك المنهج الإحصائي لحصر الصور وتوضيح نِسَبِها المتفاوتة. فوجد أن التشبيه بألوانه الحسي والعقلي والمختلف كثيرًا في شعره، كما وجد في التشبيه الحسي أنّ تشبيه المبصر بالمبصر هو الأكثر شيوعاً، ثم يليه الملموس بالملموس، ثم المذوق بالمذوق، وأخيراً المسموع بالمسموع، وهو نادر، وأن تشبيه المفرد بالمفرد هو الغالب، ثم يليه المتعدد فالمركب. أما في وجه الشبه فإنّ التشبيه المفصل أكثر شيوعاً من المجمل، وهذا دليل على إيضاح الشاعر للصورة، كما أن تشبيه التمثيل نادر، في حين أن التشبيه غير التمثيل هو الشائع. أما في أداة التشبيه فإنه كان يستخدم التشبيه المؤكد أكثر من المرسل، والمرسل أكثر من البليغ، مما يجعل الصورة قصيرة وواضحة.

تكمن أهمية هذا الدراسة في التعرف على مختلف الصور التشبيهية التي تضمنها ديوانه المذكور، وغرض الباحث من خلال هذا كله هو تسليط الضوء على الصور التشبيهية الواردة في شعر حسب الله مهدي فضلة للوقوف على مقدرته على التفنن في استعمال تلك الصور، والتعرف على معينها المستقاة منه، واستظهار دلالاتها باستخدام الطرق المنهجية، كما يُعد حسب الله مهدي فضلة من شعراء تشاد المعاصرين الذين اعتنوا بالشعر العربي الفصيح، وذهبوا فيه مذهباً لا يُستهان به في بلدٍ تصارعت فيه الثقافات، وتبارت فيه اللغات، فقد فجّر مشاعره وأبرز مواهبه بالعربية فأبلى بلاء حسناً، بذلك كان أول شاعر تشادي نال جائزة الإيسيسكو للأعمال الأدبية المتميزة، كما أدرجت وزارة التربية الوطنية بعض قصائده في برامجها التعليمية، فجذبنا ذلك إلى النظر في شعره، لما لشعره من نوطة في القلب وعلوق بالنفس ودرك للحاجة، حيث كان يتفنن في استعمال اللغة العربية مما جعل معانيه تنساب انسياباً، تظهر في صور جميلة كلما أراد لها الظهور، وتختفي وراء أقنعة الإبهام والكنايات كلما أراد لها ذلك، وكان كل ذلك جديراً بأن يلفت انتباه الباحثين إليه، ولاسيما أنه أكثر من الصور البيانية. فكان الاختيار لهذا الموضوع نسبةً لتعلق الباحث بعلم البلاغة وأساليبها المختلفة التي هي كفيلة بتوضيح الغامض، وإفصاح دقائق التأويل وإظهار "دلائل الإعجاز" ورفع معالم الإيجاز، وأن الشعر ديوان اللغة وتراث الأمة العربية. فآثرنا إبراز صوره البلاغية في سلسلة من الأبحاث العلمية متى أمكننا ذلك، بدءاً بالبحث الأول الذي تم عنونته بالصور التشبيهية في شعر حسب الله مهدي فضلة، فأحصى الباحث فيه كل الصور

التشبيهية الواردة في ديوانه (نبضات أمتي) ثم تعرّض لها بالدراسة والتحليل بغية الوصول من خلال ذلك إلى نتائج علمية ملموسة في هذا المجال.

المبحث الأول: التشبيه باعتبار طرفيه

مفهوم التشبيه:

التشبيه في اللغة هو: التمثيل، ففي لسان العرب "الشِّبْه والشَّبَه، التشبيه المثل وأشبه الشيءُ الشيءَ ماثله، وفي المثل من أشبه أباه فما ظلم، والتشبيه التمثيل" (ابن منظور، 1990). أما في اصطلاح البلاغيين فهو: الدلالة على مشاركة أمرٍ لأمرٍ في معنى ما من المعاني، بأداة ظاهرة أو مقدرة، (العدل، 1958: 2) ما لم تكن هذه المشاركة على وجه الاستعارة" (القزويني، 1993: 207) وأركانه أربعةٌ: المشبه، والمشبه به، ووجه الشبه، وأداة التشبيه.

وللصورة التشبيهية روعةٌ وجمالٌ وموقع حسن في البلاغة، وذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي، وإدنائه البعيد من القريب، ويزيد المعاني رفعةً ووضوحاً، ويكسبها جمالاً وفضلاً، ويكسوها شرفاً ونبلاً، فهو فنٌّ واسع النطاق فسيح الخطو ممتد الحواشي متشعب الأطراف متوعر المسلك، غامض المدرك دقيق المجرى غزير الجدوى. ومن أساليب البيان: أنك إذا أردت إثبات صفة لموصوف مع التوضيح أو بين الاثنين مماثلة تجعلها وسيلة لتوضيح الصفة أو المبالغة في إثباتها؛ لهذا كان التشبيه أول طريقة تدل عليه الطبيعة لبيان المعنى (عبدالرازق، 2006: 20).

وفق منهج الدراسة الذي يبدأ بطرفي التشبيه، ثم وجه الشبه، ثم أداة التشبيه. مُرْفِقين بكل مبحث من هذه المباحث إحصائية توضح استعمال الشاعر لكل ركن من هذه الأركان كماً وكيفاً، حتى يتسنى لنا من خلال ذلك الخروج بنتائج جزئية خاصة بهذا المبحث.

وينقسم التشبيه باعتبار طرفيه إلى ثلاثة أقسام رئيسية تدور حولها الدراسة هي: حسي، وعقلي، ومختلف. فالتشبيه الحسي هو كل تشبيه يمكن إدراك طرفيه (المشبه، والمشبه به) بإحدى الحواس الخمس (السمع والبصر والشم والذوق واللمس).

أما العقلي فهو ما تعذر إدراك طرفيه بإحدى الحواس المذكورة؛ بل وإنما يمكن إدراكه بالتفكير وإعمال العقل. والمختلف هو ما كان أحد طرفيه حسياً والآخر عقلياً. "وفي ذلك يقول صاحب الإيضاح: "أما طرفاه فهما إما حسيان كما في تشبيه الخد بالورد، والقد بالرمح... وإما عقليان كما في تشبيه العلم بالحياة، وإما مختلفان، والمعقول هو المشبه كما في تشبيه المنية بالسبع أو بالعكس كما في تشبيه العطر بخلق كريم" (القزويني، 1993: 207). وهناك تقسيمات أخرى ذات صلة مباشرة بالطرفين لا تقل أهميةً عما سواها سيتعرض لها الباحث دراسةً وتحليلاً، وهي التي تشمل الإفراد والتعدد والتركيب والإطلاق والتقييد.

1/ خامات طرفي التشبيه:

أ- تشبيه المحسوس بالمحسوس

التشبيه الحسي: هو كل تشبيه يمكن إدراكه هو أو مادته بإحدى الحواس الخمس (السمع والبصر والشم والذوق واللمس) وسنتناول التشبيه في هذا المبحث مقدمين أكثر أنواعه وروداً في شعر حسب الله ثم الكثير ثم الذي يليه من حيث نسبة استخدامه.

أولاً: تشبيه المبصر بالمبصر

وهو النوع الذي يُشبه فيه الشاعر طرفاً بطرفٍ آخر يُدرك بحاسة البصر. وذلك كما في قوله في قصيدته "إنها نبضات أمتي" (فضلة، 2006: 1):

أمتي، ما لبّيت غير نـداءٍ ... خالدٍ ما لردّه من إطاقــه
لستُ إلا الشعاع من نـورك ... الزاهي، ينال انبثاقه وانطلاقه

حيث شبه نفسه بالشعاع ووجه الشبه هو الوضوح في كلٍ منهما، وكلا الطرفين محسوس يدرك بحاسة البصر. وقال في قصيدته "نفحات ولفحات" (فضلة، 2006: 33):

أعزةً وكتاب الله فــي يدنا ... يكاد يحسبنا الأعدا سلاطينا

حيث شبه المسلمين في تمسكهم بالكتاب بالسلاطين، ووجه الشبه هو الظهور والهيبة في كلٍ منهما. وذلك التشبيه مدرك بحاسة البصر. وقال كذلك في قصيدته "وقفة على آثار وارا" (فضلة، 2006: 68):

والقصر بعد احتشادٍ صار منفرداً ... كرائدٍ هابط في كوكبٍ خرب
أطلال وارا أجيبي خبّري مـلأً ... أخرسْتهم هيبةً عن كل محتجب

فقد شبه الشاعر قصر (وارا) المهجور برائد سفينة فضائية ساقط في كوكب من الكواكب الخربة ووجه الشبه هو الانفراد والميلان في كلٍ منهما، وكلا الطرفين مدركين بحاسة البصر. وقال في قصيدته "على ضفاف نهر النيجر" (فضلة، 2006: 49):

تضاءل نهر نيجر إذ تمنـى ... ينافسه فخالفـه المـراد
فهبه سقى التراب فهل سيسقـي ... عقولاً لـم يُطَوِّعهـا انقيـاد
وهـل يبنى لأمتنا تراثـاً ... به (القالي) يخــلَّد و(العماد)
مآثر كالنجوم لها سطـوع ... وليس لها إذا عُــدَّت نفاد

حيث شبه الجامعة الإسلامية بمدينة (ساي) بالنيجر وفروعها بالنجوم، ووجه الشبه هو الظهور والشهرة في كل منهما، وكلا الطرفين مدركان بحاسة البصر، وذلك بعد أن عَقَد الشاعر

في الأبيات السابقة مقارنة بين عطاء النهر من ناحية، والإنجازات العلمية من ناحية أخرى. وقال في قصيدته "صفحة من الكفاح والصمود" (فضلة، 2006: 83):

فَسَجَّلَ الْمَجْدُ وَالتَّارِيخُ مَلْحَمَةً — للحق تشهد أنّ الشيخ رئبال[1]
لم يحن هامته من زأرهم فبدا — كالطود يعلو، وللإعصار إعوال
بل صاح في ثقةٍ: الله يعصمني — ولْيحم ذا الصرح؛ فهو الفكر والبال

ففي البيت الأول والثاني تشبيه حسي عقده الشاعر بين مبصر ومبصر، حيث شبه الشيخ محمد عُليش عووضة[2] (بالرئبال) وهو الأسد الجريء، ووجه الشبه هو الجرأة في كل منهما. كما عقد تشبيهاً آخر في البيت الثاني بين مشبه ومشبه به مدركان بحاسة البصر وهما (الشيخ) المشار إليه بالضمير (هامته) و(الطود) أي: الجبل، ووجه الشبه هو الظهور والشموخ في كلٍ منهما. وقال في قصيدته "كفالة اليتيم" (فضلة، 2006: 96-97):

ها هم رفاقي في الطريق تواثبوا — في خفةٍ فكأنهم أطيار
للعيد قد لبسوا الجديد وهلّلوا — بثيابهم تتلألأ الأنوار
في كفِّ كلٍ كعكة أو لعبة — يلهو بها، أو عنده مزمار

فقد صور الشاعر اليتيم في البيت الأول الذي لا عائل له أمام رفاقه المبتهجين بفرصة العيد صورة حزينة. ثم شبه بعد ذلك رفاق اليتيم بالأطيار، ووجه الشبه الخفة والبهجة في كلٍ منهما، وكلا الطرفين مدركان بحاسة البصر.

ثانياً: تشبيه الملموس بالملموس

وهو التشبيه الذي يمكن إدراك طرفيه بحاسة اللمس. فقد استخدم الشاعر حسب الله هذا النوع في شعره بدرجةٍ تأتي بعد التشبيه المدرك بحاسة البصر مباشرة. ففي قوله من قصيدته "خواطر في ذكرى غزوة بدر" (فضلة، 2006: 37):

تَبَارَكْتَ رَبِّي شَهْرُ نَصْرِكَ قَدْ أَتَى — وَأُمَّتُنَا كَالطَّيْرِ بَيْنَ يَدَيْ طِفْلِ
تَقَاذَفَهَا أَيْدِي الطُّغَاةِ كَأَنَّهَا — كُرَيَّةُ مِنْطَادٍ تُدَاعَبُ بِالرِّكْلِ

فقد شبه الأمة الإسلامية بالكرة الصغيرة في البيت الثاني ووجه الشبه هو الضعف في كلٍّ منهما. وهذا ما يدركه المرء بحاسة اللمس.

وقال في قصيدته "كفّ يا دمع" (فضلة، 2006: 41):

[1] الرئبال هو الأسد الشجاع الجريء.

[2] الشيخ محمد عُليش عووضة مؤسس أول مدرسة نظامية عام 1944م بأبشة (معهد أم سيوقو العلمي الإسلامي)، نفاه المستعمر إلى السودان.

كُفِّ يَا دَمْعُ، أَنتَ أَوَّلَ دَائِـي أنت عنوان محنتي وشقائي
أَنتَ جَرَّأْتَ كُلَّ نَذْلٍ عَلَى ظُلْـ مِي وَسَلْبِي وَغِيلَتِي وَاجْتِرَائي

فقد شبه الشاعر الدمع بالداء، ووجه الشبه هو التأذي في كلٍ منها وكلا الطرفين مدركان بحاسة اللمس. وقال في قصيدته "رثاء مجلس الأمن" (فضلة، 2006: 60):

والأرض قد رقصت لكن كثاكلة أحلامها وُئدت من غير تكفين
لحن السلام تلاشى في الدويّ لدى قصف الصواريخ أحشاء المساكين

فالشاعر يصف فشل مجلس الأمن في إحلال الأمن في الأرض، وقد خيّب بذلك آمال الناس فيه. فالتشبيه قد عقد بين الأرض الراقصة والأم الثاكلة في البيت الأول، ووجه الشبه الحزن في كلٍ منهما، والتشبيه هنا مُدرك بحاسة اللمس. ومنه قوله من قصيدته "رسول السلام" (فضلة، 2006: 8):

ضيّعوا قارب النجاة ببجرٍ هم هشيمٌ لموجه أو غثاء

فالتشبيه الحسي قد عقد في البيت الأول بين المشبه الضمير (هم) الذي يعني ضعاف النفوس من المسلمين والمشبه به (هشيم أو غثاء) وهو متعدد محسوس، ووجه الشبه هو الضعف في كلٍ منهما، وهو تشبيه محسوس يدرك بحاسة اللمس. وقال في قصيدته "الشهيد الحي للحق الحي" (فضلة، 2006: 66):

فابق عبدا لعزيز رمزاً مضيئاً وابق شوكاً في قلب شارون مُرّا
وابق علّمْ بأنّ لربي وحده في الآجال حكماً وأمــرا
ولئن فزت بالشهادة يومـاً فلْتطب أنْ في الكتائب ذخـراً

رسم الشاعر في هذا المقطع صورة لمحاولة اغتيال (عبد العزيز الرنتيسي) من قبل الإسرائيليين؛ ولكن هذه المرة لم تنجح المحاولة وإن كان قد قتل بعد ذلك، ففيه اعتزاز بعزيمة المجاهدين في فلسطين ولاسيما أبطال المقاومة. فالتشبيه الحسي قد عقد في الشطر الثاني من البيت الأول بين المشبه (عبد العزيز الرنتيسي) والمشبه به (الشوك) ووجه الشبه هو الألم في كلٍ منهما، وهو تشبيه محسوس يدرك بحاسة اللمس والبصر أيضاً. وقال في قصيدته "مكة الخير" (فضلة، 2006: 70):

هو السيف إلا أن للسيف نبوةً وغمداً فنجل الغامديين أقطع
تشاد استفاض العلم فيها بأنـه هو المزن إلا أن مازن أوسع

مدح الشاعر مازن بن أحمد الغامدي، مدير مكتب مؤسسة مكة الخيرية، وبالغ في مدحه، فشبهه بالسيف القاطع والمضاء في الرأي، وهذا النوع من التشبيه مدرك بحاسة اللمس والبصر أيضاً.

ثالثاً: تشبيه المسموع بالمسموع

وهو ما كان طرفاه مدركين بحاسة السمع، وأمثلته في شعر حسب الله كثيرة، لكنها تأتي في المرتبة الثالثة بعد المبصر والملموس. ومن أمثلته البارزة قوله في قصيدته "رسول السلام" (فضلة، 2006: 8):

إنني بلبل بروضك يشـــدو من ترانيمه الدعا والثنـــاء
قد سبتني آفاق عالمـــك الـــز اكي؛ فحلقتُ حيث البهـــاء

شبه الشاعر نفسه المادحة للنبي المصطفى صلى الله عليه وسلم بالبلبل، ووجه الشبه هو حسن الصوت (الشدو) في كل منهما وهذا ما تدركه حاسة السمع. ومنه قوله في قصيدته "بشائر الأمل" (فضلة، 2006: 66):

عادت تُغرّد بالقرآن فتيتنـــا تحكي مزامير داوود وعثمـــان

فقد شبه الشاعر صوت المرتلين للقرآن الكريم بمزامير داوود –عليه السلام– في الحسن، ثم أضاف إليها عثمان ليستقيم الوزن؛ وإلا فإن الخليفة عثمان رضي الله عنه قد اشتهر بسرعة التلاوة. فالطرفان محسوسان يمكن إدراكهما بحاسة السمع. وقال في قصيدته "في آفاق القرآن" (فضلة، 2006: 8):

حين كان النحل يشدو حاكيـاً شدونا في الليـــل في إقرائه
ثم يقضي الصبح في تقليدنـــا إن رأى التحليق في أجـــوائه

أعرب الشاعر عن تمسك المسلمين بالكتاب العزيز وعملهم بما فيه لدرجة أن النحل يحاكيهم بالليل في التلاوة، ويقلدهم في البحث عن عمل مفيد بالنهار. فالتشبيه حسي عقد بين (شدو) النحل بالليل وتلاوة المسلمين للقرآن بالليل، ووجه الشبه هو حسن الصوت والاستمرار في كلٍ منها. وهو تشبيه مُدرك بحاسة السمع. وقال في قصيدته "الحقيقة الخالدة" (فضلة، 2006: 14–30–31 – 34):

تساؤلات حيارى تبتغي رشـداً ذابت كرجع الصدى من لحني الشاجي
فلم أجد ثَمَّ إلا أحـرفاً كتـبت إن الحقيقـة تغفـو بين أدراجي

ففي البيتين سؤال وجواب، حيث بحث الحائر الذي ترك كتاب الله مهمَلاً في الأدراج عن الحقيقة فلم يجدها، ثم عاد إلى كتاب الله فوجدها فيه. فالتشبيه قد عقد بين المشبه (تساؤلات)

والمراد بها الأسئلة، والمشبه به (رجع الصدى) محسوسان يدركان بحاسة السمع. وقال في قصيدته "نفحات ولفحات" (فضلة، 2006: 34):

والكفر من دعوة الإسلام في وجلٍ يرى الأذان له نعياً وتأبينـــا
فلْيحشد الجند، ولينشر حبـائله والله مورثه ذلاً وتوهيـــنا

يصف الشاعر دعوة الكفار بالخوف والذعر لدرجةٍ أنهم يتوهمون في الأذان بكاءً لقتلاهم، كما يتوهمون فيه التذكير بمناقب موتاهم. فالتشبيه في البيت الأول وفي الشطر الأخير منه بالذات حسي، عقد بين الأذان من جهة المشبه، والنعي والتأبين من جهة المشبه به. أما وجه الشبه فهو إطلاق الصوت في كلٍ منهما، وهو مُدرك بحاسة السمع. وقال في قصيدته "شاري الحزين" (فضلة، 2006: 113):

وذا الخرير أنيناً كنتَ تعزفـه لحناً تبث به وجداً وأحزانـا

سأل الشاعر نهرَ شاري عن صوت ماءه الشبيه بأنين المتألمين، هل سبب ذلك كله الألم والحزن على فراق الشاعر عباس محمد عبد الواحد؟ فالتشبيه قد عقد في البيت بين الخرير والأنين، ووجه الشبه هو الحزن، وكلا الطرفين يمكن إدراكهما بحاسة السمع. وقال في قصيدته "رثاء مجلس الأمن" (فضلة، 2006: 60):

فلترقص الأرض في العرس البهيج على أنغام زغرودة تشدو بتلحيـن
لكنّ زغرودة الأفراح مـا انطلقت حتى استحالت إلى نوحٍ وتأبين

فقد عبّر الشاعر عن آمال الناس العريضة تجاه مجلس الأمن في بادئ أمره؛ لكنه ما لبث أن غيّر من حاله فخيّب آمال الناس فيه، حيث صار أداة تستعملها الدول العظمى وقت الحاجة فقط.

فالتشبيه في البيت الثاني قد عقد بين طرفين محسوسين هما: المشبه (زغرودة) وهو الصوت الذي تطلقه النساء في مناسبات الفرح، والمشبه به (نوح) وهو البكاء، ووجه الشبه هو إطلاق الصوت في كلٍ. وهو تشبيه حسي مُدرك بحاسة السمع.

رابعاً: تشبيه المذوق بالمذوق

وهو التشبيه الذي يمكن إدراك كل من طرفيه بحاسة الذوق. فهو في شعر حسب الله يأتي في المرتبة الرابعة بعد المبصر، والملموس، والمسموع، ومن أمثلته قوله في قصيدته "كقالة اليتيم" (فضلة، 2006: 95):

الماء أشربه ليبرد غلّتـــي فكأنما تبريـــده إسعار

لي ليلتان ألوك بعض بليــلةٍ قد خالطت حبّاتهـا الأحجار

عبّر الشاعر عن الآلام التي يواجهها اليتيم بعد فقدان والده، لا سيما ألم الجوع، الذي يجعله يلجأ إلى شرب الماء فلا يجديه شيئاً، كما أن طعامه الغالب البليلة التي هي حبات من الدخن أو الذرة تبل بالماء الدافئ ومعها حبات من الرمال يتعثر فم آكلها بذلك. فالتشبيه قد عُقد بين المشبه (التبريد) والمشبه به (إسعار) وهو شدة الحرارة، ووجه الشبه هو التأذي في كلٍ منهما وهذا لا يُدرك إلا بحاسة اللسان فهو مذوق. وقال في قصيدته "رسول السلام" (فضلة، 2006: 9):

واستطابوا مستنقع الذل كالـ دود لهم فيه مرتع وارتواء

حيث شبه ضعاف النفوس من المسلمين بالدود، ووجه الشبه هو الشعور بالحالة السيئة في كلٍ منهما، وهذا لا يدرك إلا بحاسة الذوق.

خامساً: تشبيه المشموم بالمشموم

وهو التشبيه الذي تكون فيه حاسة الشم هي المدركة لطرفي التشبيه. وهذا النوع هو أقل الأنواع وروداً في شعر حسب الله، ومن أمثلته النادرة قوله في قصيدته "حنين" (فضلة، 2006: 129):

وهي في الصبح نسمة تشرح الصـ * در ابتهاجاً وتبعث الميت حيّا**

فقد شبه ابنته التي لم يرها منذ أن ولدت بالنسمة، ووجه الشبه هو الرائحة الطيبة التي تشرح الصدر في كلا الطرفين، وهو مدرك بحاسة الشم. وكذلك قوله في قصيدته "رسول السلام" (فضلة، 2006: 7):

إنني زهرة بهديك فاحـت * يُنعش النفس نفحها المعـطاء**

فقد شبه نفسه في تربيتها تربية إسلامية. ومعاملته للآخرين بسلوك دينية بالزهرة. ووجه الشبه هو الفوحان والانتشار في كلٍ منهما، وهو مدرك أيضاً بحاسة الشم.

التشبيه المحسوس: الإحصاء والنسب

الرقم	خامات التشبيه: نوع التشبيه المحسوس	التكرار	النسبة المئوية	المفرد: التكرار	المفرد: النسبة المئوية	المتعدد: التكرار	المتعدد: النسبة المئوية	المركب: التكرار	المركب: النسبة المئوية
1	المبصر بالمبصر	75	%71،42	70	%66،67	03	%2،86	02	%1،9
2	الملموس بالملموس	14	%13،33	14	%13،33	–	–	–	–

3	المسموع بالمسموع	11	%10،48	11	%10،48	–	–	–	–
4	المذوق بالمذوق	04	%3،80	04	%3،80	–	–	–	–
5	المشموم بالمشموم	01	%0،95	01	%0،95	–	–	–	–
	المجموع	105	%100	105					

يتضح من خلال الإحصائية أعلاه أن تشبيه المبصر بالمبصر هو الأكثر شيوعاً في شعر حسب الله مهدي فضلة، وذلك لوروده بنسبة 71,42% مقارنة مع باقي التشبيهات المحسوسة.

- ويليه في المرتبة الثانية تشبيه الملموس بالملموس بنسبة 13,33%.
- ثم يأتي بعده تشبيه المسموع بالمسموع بنسبة 10,48%.
- كما يأتي بعده تشبيه المذوق بالمذوق بنسبة 3,80%.
- وأخيراً يأتي تشبيه المشموم بالمشموم بنسبة 0,95%.

كما يتضح كذلك في نفس الإحصائية أن حسب الله مهدي فضله، كان يستخدم التشبيه المفرد أكثر ممّا سواه من التشبيه المتعدد والمركب في شعره. ولربما سبب ذلك معاناة الشاعر من بعض العلل في حواسه جعلته يعتمد على حاسة البصر واللمس والسمع أكثر من الذوق والشم.

(ب) التشبيه العقلي: وهو ما يدرك طرفاه بالعقل، وفي ذلك يقول الخطيب القزويني: "والمراد بالعقلي ما عدا ذلك (أي: الحسي)، فدخل فيه الوهمي، وهو ما ليس مدركاً بشيء من الحواس الخمس الظاهرة، مع أنه لو أدرك لم يدرك إلا بها" (القزويني، 1992: 2)، وهو إما تشبيه مفرد عقلي بمفرد عقلي، أو مركب بمركب، أو متعدد بمتعدد أو مفرد بمركب، أو مفرد بمتعدد. فهو في شعر حسب الله مهدي فضلة كثير الورود، متنوع الأشكال.

أولاً: المفرد العقلي. وهو ما كان طرفاه مفردين. وهو الأكثر استعمالاً في شعر حسب الله، ومنه قوله في قصيدته "خواطر في ذكرى غزوة بدر" (فضلة، 2006: 21):

فيا رمضان الفتح والنصر عُدْ لنا بنصرٍ كبدر فيه إسلامنا نعلي

حيث ناشد الشاعر شهر رمضان الذي هو فيه بأن يكون شهر فرج ونصر لكل المسلمين، كما كان شهر نصرٍ وعزٍ للرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وأصحابه رضوان الله عليهم في غزوة بدر.

فالتشبيه العقلي هنا مفرد الطرفين عقد بين النصر المنشود، والنصر المحقق ووجه الشبه هو العزة في كلٍ منهما. ومنه قوله في قصيدته "رسول السلام" (فضلة، 2006: 5):

أشرقت شمسك المنيرة في الكو ن فضمت أذيالها الظلمـاء

كالخيالات للسكارى إذا مـا أشرق العقل واستعيد الصفاء
أو كغمٍ على فؤاد ويـأس بدّدتـه انتباهـة أو رجـاء

يصف الشاعر بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم بأنها ظهور للهدى وإخفاء للضلال فاندهش الناس لذلك، لأنهم كانوا في جاهلية عمياء. فالتشبيه العقلي المفرد قد عُقد بين المشبه (حياة الجاهلية) والمشبه به (الخيالات–الغم) ووجه الشبه هو الدهشة عند شيء غريب، لأن ظهور البعثة النبوية كان مدهشاً للعرب. وقال في قصيدته "خواطر في ذكرى غزوة بدر": (فضلة، 2006: 20):

ففروا وطاروا في البرية ذُعّراً كأوهام سكرانٍ لدى عودة العقل

وصف الشاعر خوف المشركين في غزوة بدر وفرارهم من الموت وقال إنّ مرد ذلك هو الغرور المهلك. فقد شبه الشاعر شدة خوف المشركين بأوهام السكران ووجه الشبه هو سوء الحال في كل منهما. وهذا لا يدرك إلا بالعقل. وقال في قصيدته "إلى شباب تشاد" (فضلة، 2006: 74):

وما في غير وحدتنا سبيل لإنهاضٍ به يُشفى الغليل
فإنّ تفرق الأهواء غول به الأوطان تمنى بالهزال

يدعو الشاعر أبناء وطنه إلى الوحدة والبناء والتقدم، ويرى أن من أنجح الأسباب للنهوض بالبلاد، الوحدة الوطنية التي فيها يجد كل فردٍ من أبناء الوطن سعادته، أما التفرقة فشيء مهلك أشبه بالغول الذي تزعم العرب "أنه نوع من الشياطين يظهر للناس في الفلاة فيتلوّن لهم في صور شتى ويغولهم، أي يهلكهم ويضللهم" (المعجم الوسيط، ج 2، مادة غال، ص691)، أما التشبيه العقلي هنا وهميّ. حيث شبه الشاعر تفرق الأهواء بالغول الذي لا يدرك بالعقل إلا توهماً ووجه الشبه هو الهلاك الشديد في كلٍّ منهما، ومن أحسن أنواعه قول الله تعالى: "طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ" (الصافات: ١٣٦) لأن التشبيه الوهمي أيضاً داخل في الإطار العقلي. وفي ذلك يقول صاحب التلخيص: "والمراد بالعقلي ما عدا ذلك (إشارة إلى الحسي) فدخل فيه الوهمي، أي ما هو غير مدرك بالحواس الخمسة، ولو أدرك لكان مدركاً بالحواس الخمسة لا بغيرها"، وهو نحو قول امرئ القيس (التفتازاني، 1937: 136):

أيدركني والمشرفيّ مضاجعي ومسنونه زرق كأنياب أغوال

ثانياً المتعدد العقلي: ومن أمثلته قوله من قصيدته "بشراك يا لغة القرآن" (فضلة، 200: 92):

قرّي، فأنت مع الإسلام في دمـنا صنوان أرساه من في القلب أرساك
كنتِ الحياة وكان الروح، هل عُرفت يوماً حياة بـلا روحٍ، بإدراك

طمأن الشاعر اللغة العربية بأنها لن تنهار أبداً، لأنها تجري هي مع الإسلام في دماء الشعب كله بفضل الله تعالى، وأهميتها في تشاد أشبه بأهمية الحياة للناس، كما أن أهمية الإسلام أشبه بأهمية الروح للجسد، لا غنى عنهما أبداً. فالتشبيه الأول عقد بين المشبه اللغة العربية التي رمزها بالضمير (كنتِ) وهي مفرد معقول، والمشبه به (الحياة) وهو مفرد معقول. ووجه الشبه هو الأهمية في كلٍ. والتشبيه الثاني عقد بين المشبه (الإسلام) الذي يفسره ضمير (كان) وهو مفرد معقول، ووجه الشبه هو الأهمية. وهذا النوع من التشبيه يطلق عليه البلاغيون اسم (التشبيه المفروق) وهو "جمع كل مشبه مع ما يشبه به (الهاشمي، 1999: 209) (سقال، 1997: 150).

التشبيه العقلي: الإحصائية والنسبة

نوع التشبيه	التكرار	النسبة المئوية
التشبيه العقلي المفرد	16	% 88,89
التشبيه العقلي المتعدد	1	% 5,56
التشبيه العقلي المركب	1	% 5,56
المجموع	18	% 100

يتضح من خلال الجدول أعلاه أن نسبة التشبيه العقلي أقل بكثير من نسبة التشبيه الحسي، كما يتضح كذلك أن نسبة التشبيه العقلي المفرد أكثر أيضاً بكثير من نسبة التشبيه العقلي المتعدد والمركب. حيث بلغت نسبة المفرد وحدها 88,89%. ثم تساوت نسبة المركب مع المتعدد فكانت كل واحدة منها 5,56%، وهذا يدل على أن الشاعر حسب الله مهدي فضلة كان يميل إلى استخدام التشبيه العقلي المفرد بنسبة لا مثيل لها. وسبب تغلب الإدراكات الحسية على العقلية هو اتجاه الشاعر نحو الأسلوب التقليدي في الشعر العربي الذي يبعد عن التعقيد وفلسفة الأشياء وإغماض الصورة؛ وبالتالي يؤدي دوره الاجتماعي في التوجيه والتعليم والوعظ والإرشاد.

(ج) التشبيه المختلف الطرفين:

وهو ما كان أحد طرفيه حسياً والآخر عقلياً.

أولاً: تشبيه المفرد المعقول بالمفرد المحسوس، وهو الأكثر استعمالاً في شعر حسب الله، ثم يليه تشبيه المفرد المحسوس بالمفرد المعقول، أما المتعدد والمركب فنسبتهما ضئيلة. ومن أمثلة تشبيه المفرد المعقول بالمفرد المحسوس قوله في قصيدته "وقفة على آثار وارا" (فضلة، 2006: 87):

ألم تكوني مناراً ساطعاً زمنـاً صفي انبعاث يمدّ إفريقيا بالعــلم والأدب

الهدى كالكهرباء به رأى الطريق أناس في عمى الحجب

طلب الشاعر من (وارا) العاصمة السابقة لمملكة ودّاي والتي صارت أطلالاً بأن تصف له هيئتها قبل الخراب عندما كانت حاضرة العلم والدين ومنها استمدت إفريقيا. فالتشبيه قد عُقد بين مشبه معقول (انبعاث الهدى) ومشبه به محسوس (الكهرباء) ووجه الشبه هو الانتشار في كلٍ منهما. لأن الهدى المنتشر آنذاك أشبه بالكهرباء سرعة وعموماً. وقال في قصيدته "الجنود المرابطة تحت لواء الرابطة" (فضلة، 2006: 53):

أعيا المنافس في علمٍ وفي عمل واحتارت الخطبا إن بعده نطقوا
تُحصى السنين ولا تحصى نتائجها عَقْدٌ ولكنه كالعِقد مؤتلـق

فالشاعر يمدح (عبدا لله بن عبدا لمحسن التركّي) الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، ويصفه بالتفوق في العلم والعمل والخطابة. ولذلك جاءت إنجازاته كثيرة في زمن قليل، لأنه صاحب عهد والتزام أشبه بالعقد المنظوم.

فالتشبيه قد عقد بين المشبه المعقول (عقد) لأن العقد بفتح العين هو العهد. والمشبه به المحسوس (عِقد) بكسر العين الذي يعني الخيط الذي ينتظم فيه الخرز وغيره من حُلي النساء. ووجه الشبه هو الجمال في كلٍ منها.

ثانياً: المشبه محسوس والمشبه به معقول، وهذا النوع نادر، ومنه قوله من قصيدته "على ضفاف نهر النيجر" (فضلة، 2006: 48):

تمد غصونها الفيحاء يـأوي إليها من مـرادهم الرشـاد
ترى برحابها النحل انتشـاراً وجنياً كلـّه فنٌ مجـاد

مدح الشاعر الجامعة الإسلامية بمدينة (ساي) النيجرية، وشبهها بالشجرة الظليلة ذات المساحات الواسعة التي تضم إليها كل من يريد العلم وفوائده. فالتشبيه قد عقد بين المشبه الحسي (جنياً) وهو الثمار، والمشبه به (فن)، وهو عقلي ووجه الشبه هو الفائدة في كل منهما.

ثالثاً: المتعدد، حيث المشبه مفرد محسوس والمشبه به متعدد معقول، ومن ذلك قوله في قصيدته "خواطر في ذكرى بدر"(فضلة، 2006: 110):

نعم هكذا الإسلام سيف ومصحف يُسلّ على الباغي، ويحكم بالعدل

يؤكد الشاعر أن مبادئ الدين الإسلامي ترتكز على ركنين أساسيين: قوة السلاح وقوة العلم اللذان يُردع بهما العاصي وتنشر بهما العدالة في الأرض. ولكنه تحيّر من مواقف المسلمين اليوم؛ الذين رضوا بالذل والهوان ووجدوا مبرراً لهم في ذلك. فالتشبيه قد عقد في البيت بين المشبه

(الإسلام) مفرد معقول، والمشبه به (سيف ومصحف) وهو متعدد محسوس، والصفة المشتركة بينهما القوة في كلٍ منهما. وقال في قصيدته "العربية لغتنا" (فضلة، 2006: 21):

فلْنستعد همة نبني البلاد بها بالعلم والعزم يُبنى الشامخ العلم
نريدها حرة عظمى دعائمها العدل والأمن والقانون والقلم

نادى الشاعر أبناء وطنه طالباً منهم قوة العزيمة لبناء البلاد التي يتمنى أن يراها دائماً حرة وعظيمة، أسسها العدل والأمن والعلم. فالتشبيه قد عقد بين مشبه مفرد محسوس وهو (دعائم) ومشبه به متعدد معقول (العدل والأمن والقانون والقلم) والمراد بالقلم هنا العلم من باب إطلاق السبب وإرادة المسبب لأن القلم سبب في العلم. ووجه الشبه هو القوة في كل منهما. وهذا النوع من التشبيه يطلق عليه البلاغيون اسم (تشبيه الجمع) (الهاشمي، 1999: 209) ومنه قوله في قصيدته "خواطر في غزوة بدر" (فضلة، 2006: 21):

متى كان دين الله دمعة ذلةٍ وتبرير أحكام وقولاً بلا فعل؟

تعجب الشاعر من حال المسلمين اليوم، حيث رضوا بالواقع المرير المفروض عليهم من قبل عدوهم، وكلما أصابهم من عدوهم سوء، بكوا ووجدوا مبرراً لبكائهم وذلهم. فالتشبيه قد عُقد بين المشبه (دين الله) وهو مفرد معقول والمشبه به (دمعة ذلة وتبرير أحكام وقولاً بلا فعل) وهو متعدد بين محسوس ومعقول، ووجه الشبه هو التناقض بينهما.

رابعاً: المركب، وهو ما تركب من أجزاء لا يمكن التفريق بينها. ومن أمثلته قوله في قصيدته "بشائر الأمل" (فضلة، 2006: 21):

تنساب آياته بالخير دافقة كالجدول العذب يروي كلّ ظمآن

حيث شبه آيات القرآن الكريم بالجدول العذب في العذوبة، فالمشبه معقول والمشبه به محسوس.

(ج) التشبيه المختلف الطرفين: الإحصاء والنسبة

نوع التشبيه	التكرار	النسبة المئوية
المفرد	15	%75
المتعدد	5	%25
المركب	–	–
المجموع	**20**	**%100**

يتضح من خلال الجدول أعلاه أن نسبة التشبيه المختلف الطرفين هو أقل التشبيهات وروداً في شعر حسب الله فضلة مقارنة مع سابقيه من الحسي والعقلي.

كما يتضح كذلك أن المفرد منه هو الأكثر استخداماً بالنسبة للمتعدد والمركب. فكانت نسبته 75%، في حين أن نسبة المتعدد كانت 25%، أما المركب فلا وجود له. وهذه النتيجة تدل على ميل الشاعر إلى وضوح الصورة؛ مما يؤكد الاتجاه الكلاسيكي لدى الشاعر وميله إلى الأسلوب التقليدي المحافظ، للقيام بدوره التعليمي والإرشادي، حيث يكون الشاعر ناطقاً بلسان الجماعة أكثر من أن يكون معبراً عن ذاته الخاصة. لأن التشبيه المختلف أكثر تعقيداً من العقلي، والعقلي أكثر تعقيداً من الحسي.

(2) أسلوب بناء طرفي التشبيه:

والمقصود بذلك هو أن يكون الطرفان مفردين – أو متعددين أو مركبين أو مختلفين، والمفردان إمَّا مطلقان أو مقيدان بوصف أو إضافة، أو حال، أو ظرف أو غير ذلك، أو مختلفان.

فإن تشبيه المفرد المطلق بالمفرد المطلق هو الشائع في شعر حسب الله مهدي فضله، ويأتي بعده المتعدد والمركب. إلاّ أن البون شاسع بين المفرد من جهة؛ والمتعدد والمركب من جهة. وذلك دليل على قصر صوره التشبيهية. مما يدل بوضوح أن رسالة الشاعر قصيرة ومختصرة يمكن فهمها وإدراكها بسرعة وبسهولة دون حاجة إلى شرح أو توضيح، وهذا هو لب الاتجاه التقليدي الكلاسيكي.

أولاً: تشبيه المفرد المطلق بالمفرد المطلق وهو الشائع، ومن أمثلته قوله من قصيدته "العربية لغتنا" (فضلة، 2006: 23):

فالضاد كالبحر يروي كل ظمإٍ وفيه للغائص الياقوت والتُّوم

فقد شبه الشاعر اللغة العربية (الضاد بالبحر) ووجه الشبه هو الانتفاع في كلٍ، والضاد مفرد مطلق، كما أن البحر هو أيضاً مطلق عن التقييد. كما جاء في قوله من قصيدته "كفالة اليتيم" (فضلة، 2006: 95):

ها هم رفاقي في الطريق تواثبوا في خفةٍ فكأنهم أطيار

حيث شبه الشاعر رفاق اليتيم المتمثلين في الضمير (كأنهم) بالأطيار ووجه الشبه هو الخفة في كلٍ منهما، دون أن يقيد الطرفين المفردين بشيء.

ثانياً: المشبه مطلق والمشبه به مقيد، مثاله قوله من قصيدته "صفحة من الكفاح والصمود" (فضلة، 2006: 83):

لم يحن هامته من زأرهم فبدا كالطود يعلو، وللإعصار إعوال

حيث شبه الشيخ محمد عليش الذي رمز له بالضمير (هامته) بالطود، وهو الجبل ووجه الشبه هو المقاومة وقوة التحمل في كلٍ، والطرفان مفردان، المشبه مطلق؛ في حين أن المشبه به مقيد بوصف (يعلو، وللإعصار إعوال). وقال في قصيدته "خواطر في ذكرى بدر" (فضلة، 2006: 18):

تباركت ربّي شهر نصرك قد أتى وأمتنا كالطير بين يدي طفل

فقد شبه الأمة الإسلامية الآن بالطير في يد طفل، ووجه الشبه هو الضعف في كلٍ منها. فالطرفان مفردان كان المشبه (أمة) مطلقاً. والمشبه به (الطير) مقيّد بظرف المكان (بين).

ثالثاً: المشبه مقيد والمشبه به مطلق، مثاله في قصيدته "صفحة من الكفاح والصمود" (فضلة، 2006: 83):

دار التغرّب بالإيمان لي وطن والموت في الله إنعام وإفضال

حيث شبه منفى الشيخ محمد عليش بالعيش في وطنه، وذلك في الشطر الأول من البيت ووجه الشبه هو الإقامة والاستقرار في كلٍ منها. والطرفان مفردان؛ إلا أن المشبه مقيد بوصف (بالإيمان) والمشبه به (وطن) مطلق. كما أن المشبه في الشطر الثاني (الموت) مفرد مقيد بظرف (في الله) والمشبه به (إنعام) مطلق.

رابعاً: الطرفان مقيدان، ومن ذلك قوله من قصيدته: "إلى شباب تشاد" (فضلة، 2006: 7-8):

فإن العلم في الدنيا سلاح إذا همّ العداة بنا وصاحوا

قد شبّه العلم بالسلاح ووجه الشبه هو القوة في كلٍ منهما. ثم قيد المشبه بظرف (في الدنيا) كما قيد المشبه به بوصف (إذا همّ العداة بنا وصاحوا).

خامساً: التشبيه المقلوب، وهو ما كان المشبه به مشبهاً، "ويعد هذا النوع من أساليب التشبيه مظهراً من مظاهر الافتتان والإبداع" (الهاشمي، 1999: 227). مثاله قوله من قصيدته "رسول السلام" (فضلة، 2006: 53):

أنت رُبانه وهيكله القرآن وهو المَحجة البيضاء
يا رحيماً بالمؤمنين ينادي أمتي أمتي وإن هم أساؤوا
إنني زهرة بهديك فاحت يُنعش النفس نفحها المعطاء
إنني بلبل بروضك يشدو من ترانيمه الدعا والثناء

فالشاعر في هذه الأبيات الأربعة المتوالية يمدح النبي محمداً صلى الله عليه وسلم ويبين بما جادت به قريحته قدر هذا النبي العظيم، فيرى في البيت الأول أن النبي صلى الله عليه وسلم هو قائد السفينة الإلهية كما أن القرآن الكريم هو هيكلها وهو الطريق المستقيم، ثم نادى الشاعر الرسول صلى الله عليه وسلم نداء فيه المدح والثناء حيث وصفه بأنه كثير الرحمة (رحيم) يوم القيامة حين ينادي: أمتي أمتي ويطلب الرحمة لمحسنهم ومسيئهم ويعنى بها الشفاعة العظمى، ثم عاد بعد ذلك إلى نفسه وقال: إنه أشبه في نشأته الدينية وتربيته وتهذيبه بالزهرة الجميلة العطرة التي يفوح طيبها الكثير في كل مكان. وإنه كالبلبل الصدّاح بشعره ولحنه الجميل المليء بالدعاء والمدح النبوي.

فالتشبيه عقد في البيت الأول بين ثلاثة مقابل ثلاثة.

الأول: عقد بين المشبه الرسول صلى الله عليه وسلم وهو حسي مفرد، والمشبه به ربان وهو أيضا حسي مفرد، لأن الربان هو قائد السفينة. أما الأداة والوجه فمحذوفان، لأن التشبيه بليغ. ووجه الشبه المقدر هنا هو حسن القيادة والسياسة، وذلك بالرغم من أن المشبه أرفع درجة وأعظم خبرة بالقيادة والسياسة من المشبه به وذلك جائز لتقرير حال المشبه بدلا من المشبه به. وذلك كقول أبي تمام حين مدح أحمد بن المعتصم (عبد الرازق، 2006: 322):

إقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس

فأُخذ عليه أن الأمير أكبر من أن يُشبه في ذلك بالثلاثة، فقال (عبد الرازق، 2006: 322):

لا تنكروا ضربي له من دونه مثلاً شروداً في الندى والبأس

فالله قد ضرب الأقل لنوره مثـلا من المشكاة والنبراس

يعني بذلك قول الله تعالى: "اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" (النور: ٣٥).

إذاً: فالغرض من التشبيه لدى الشاعر هو تقرير حال المشبه وتمكينه في ذهن السامع، بادعائه أن المشبه أتم من المشبه به في وجه الشبه. والثاني شبه فيه القرآن الكريم بالهيكل في الإحاطة، والثالث شبه القرآن الكريم بالمحجة في الهدى. كل ذلك من الجانب الديني والاجتماعي، لكننا إذا دققنا النظر في أوجه الشبه بلاغياً فإن التشبيه يأخذ منحى آخر غير الذي أورده أبو تمام وجاراه فيه ابن فضلة.

المبحث الثاني: التشبيه باعتبار وجه الشبه

وجه الشبه هو ما يشترك فيه طرفا التشبيه (المشبه والمشبه به) تحقيقاً أو تخييلاً. وقد يناقش الباحث فيه جوانب المفصل والمجمل، والقريب المبتذل، والبعيد الغريب، والتمثيلي وغير التمثيلي وفق آراء البلاغيين في ذلك للخروج بنتائج.

أولاً: وجه الشبه المذكور (القريب المبتذل)

ومن أمثلة قوله في قصيدته "العربية لغتنا" (فضلة، 2006: 78):

فالضاد كالبحر يروي كل ذي ظمإٍ وفيه للغائص الياقوت والتوم

حيث شبه الشاعر اللغة العربية بالبحر، ووجه الشبه هو الرّيّ والعطاء في كل منهما، ثم ذكر وجه الشبه (المتمثل في الفعل يروي) دون أن يحتاج القارئ إلى وسيلة لمعرفة وجه الشبه. ومنه قوله في قصيدته "وقفة على آثار وارا" (فضلة، 2006: 87):

صفي الجنود إذا ريعت مواطنهم هاجوا كبحرٍ من الأمواج مضطرب

حيث شبه جنود مملكة ودّاي بالبحر، ووجه الشبه هو الهيجان والاضطراب في كل منها. ثم ذكر الوجه بصريح لفظه (هاجوا – مضطرب) وقال في القصيدة نفسها (فضلة، 2006: 87):

صفي لنا مجلس السلطان مجتمعاً بشعبه مثل أبناءٍ بحجر أب

فقد شبه مجلس السلطان بالأبناء حول أبيهم، بجامع الاجتماع والالتفاف، ووجه الشبه قد ذكر هنا بصريح لفظه (مجتمعاً). وقال في قصيدته "رسول السلام" (فضلة، 2006: 8):

إنني زهرة بهديك فاحت ينعش النفس نفحها المعطاء

فقد شبه الشاعر نفسه بالزهرة بجامع الفوحان في كلٍ منهما. والوجه هنا مذكور بصريح لفظه، فهو تشبيه مبتذل يسهل العثور فيه على وجه الشبه. وقال القصيدة نفسها (فضلة، 2006: 8):

إنني بلبل بروضك يشدو من ترانيمه الدعا والثناء

حيث شبه نفسه ببلبل يتغنى غناءً جميلاً يمدح فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم.

فالتشبيه قد عقد بين المشبهة (إنني) أي: الشاعر نفسه، والمشبه به (بلبل) ووجه الشبه هو الشدو وعذوبة الصوت في كلٍ منهما. وكان الوجه هنا مذكوراً بصريح لفظه. فهو مبتذل قريب المنال.

وقال في قصيدته "على ضفاف نهر النيجر" (فضلة، 2006: 49):

مآثر كالنجوم لها سطوعٌ وليس لها إذا عُدّت نفاد

فقد شبه مناقب الأستاذ عبدا لعلي الود غيري: رئيس الجامعة الإسلامية بالنيجر بالنجوم في وضوحها وكثرتها، ثم صرح بلفظ الوجه (سطوع) الذي يعني اللمعان والظهور، فهو تشبيه مفصل.

ثانياً: البعيد الغريب ومنه قوله في قصيدته: "رثاء مجلس الأمن" (فضلة، 2006: 60):

والأرض قد رقصت، لكن كثاكلة أحلامها وُئدت من غير تكفين

فالشاعر يصف دور مجلس الأمن الفاشل في حلّ قضايا العالم، وأنه قد خيّب آمال الناس فيه مما حوّل فرحتهم إلى حزن عميق. فالتشبيه قد عُقد بين المشبه (الأرض) وهو مفرد محسوس مطلق. والمشبه به (ثاكلة) مفرد محسوس مقيد بوصف. والكاف هي أداة التشبيه المرسل، ووجه الشبه محذوف تقديره الحزن والأسى والدهشة التي هي من مميزات المشبه به. إلّا أن العلاقة بين الطرفين بعيدة بحيث لا يصل السامع بسرعة لمعرفة وجه الشبه بين الأرض الراقصة، والأُم الثاكلة لولدها، إذ إن الطرف الأول باعث للفرح والراحة؛ في حين أن الطرف الثاني يُعد مصدر قلق وأسىً. لذلك يُعد مثل هذا النوع من التشبيه قبيحًا. وفي ذلك يقول صاحب جواهر البلاغة: "والقبيح المردود: هو ما لم يفِ بالغرض المطلوب منه لعدم وجود وجه بين المشبه والمشبه به، أو مع وجوده لكنه بعيد" (الهاشمي، 1999: 227) والغرض من هذا التشبيه تشويه المشبه وتقبيحه في عين السامع.

ثالثاً: تشبيه التمثيل، ينقسم التشبيه باعتبار وجه الشبه إلى تمثيل وغير تمثيل، أما غير التمثيل كما مرَّ في الأمثلة السابقة، ولذلك سنقتصر الحديث هنا عن التمثيل. والمقصود بالتمثيل: هو ما كان وجه الشبه فيه منتزعاً من متعدد، وهذا النوع نادر كما أشرنا إليه. ومنه قول المتنبي (البرقوقي، 1980: 205):

يهز الجيشُ حولك جانبيه كما نفضت جناحيها العُقَاب

فوجه الشبه هنا هو تلك الحركة المزدوجة من تقدم وتقهقر، وهي صورة متعددة الجوانب تظهر فيها حركة التقدم وحركة التراجع (سقال، 1997: 154) ولهذا النوع من التشبيه وجود في شعر حسب الله وإن لم يكن في رتبة التشبيه غير التمثيلي ومن ذلك قوله في قصيدته: "خواطر في ذكرى غزوة بدر" (فضلة، 2006: 18):

تباركت ربّي شهر نصرك قد أتى وأمتنا كالطير بين يدي طفل

تَقاذفها أيدي الطغاة كأنها كُريّة منطاد تداعب بالركل

فوجه الشبه في البيتين هيئة منتزعة من عدة أشياء، حيث كان وجه الشبه في البيت الأول الحالة السيئة التي تعيشها الأمة الإسلامية حالياً بكل جوانبها، وهي أشبه في ذلك بحالة طير في يد أطفال يلعبون به فيتحركون به من مكان لآخر، ويقُصُّون ريشه لكي لا يطير فيتلذذون بما يؤذيه. أما في البيت الثاني فقد شبهها في تعاقب الطغاة على حكمها وإذلالها حتى ضعفت بالكرة، ووجه الشبه هو الانقياد للآخر دون مقاومة أو شعور بمرارة الظلم. أو كقوله من قصيدته "على ضفاف نهر النيجر" (فضلة، 2006: 46):

سلوا الساطور ما ذنب الضحايا أزارهم التطرف والعـناد
وما عرفـوا انتحاراً وانفجاراً فكيف جرت دماءهم وبـادوا؟!
كأنّا أمةٌ فرض عليـها تلقِّي الطعن كي يحيا العباد

طلب الشاعر من غيره أن يوجه سؤالاً للساطور الذي قطع رقاب العلماء في مدينة أبشة عام 1917م، عن ذنب هؤلاء العلماء الذي أوجب عليهم القتل؛ لأنهم لم يكونوا متطرفين ولا معاندين ولا إرهابيين، ومع ذلك فقد أسال المستعمر دماءهم وقتلهم.

وخلاصة كل ذلك أن الأمة الإسلامية مستهدفة من قبل أعدائها الذين جعلوها كالدرع الذي يتلقى الأذى نيابة عن غيره. فالتشبيه قد عقد بين المسلمين المتمثل في (أنّا) والأمة المفروض عليها تتلقى الطعن ليحيى غيرها. فوجه الشبه لم يكن صورته واحدة، بل وإنما كانت هيئة منتزعة من متعدد: مسلمون أشبه بأمة تتلقى الأذى مرات عديدة تتألم منها؛ وغيرها لا يحيا إلا إذا طعنت هذه الأُمّة حتى يحيا الآخرون. أو كقوله من قصيدته "كف يا دمع" (فضلة، 2006: 41):

مزّقوا من شريط عمري فصولاً كالدراري بين زُهر السماء

فوجه الشبه في البيت هو هيئة منتزعة من عدة أشياء، حيث تاريخ المسلمين المتعثر في مسيرته بجبن الخونة من أبنائه، وهو أشبه في ذلك بالدراري الجميلة ولكنها متناثرة هنا وهناك. وقال كذلك في " بشائر الأمل" (فضلة، 2006: 23):

تنساب آياته بالخير دافقة كالجدول العذب يروي كل ظمآن

فوجه الشبه هنا أيضا هيئة متعددة حيث شبه الشاعر آيات القرآن الكريم في خيرها وبركاتها وهداها بجدول ماءٍ عذب يجد فيه الظماء رياً لعطشهم. ومنه قوله من قصيدته "حنين" (فضلة، 2006: 128):

وُلدت كالهلال بعدي ولمَّا يكتحل ناظري بذاك المحيّا

حيث شبه وليدته الجديدة التي لم يرها منذ ولدت بالهلال جمالا، فوجه الشبه هيئة منتزعة من متعدد.

وقال في قصيدته "خواطر في الدعوة " (فضلة، 2006: 17):

أنلهو وذي الشيشان ثكلى وقدسنا أسير وفي الأقصى البغايا تعربد

حيث شبه الشيشان بالمرأة الثكلى التي فقدت وليدها حزنا، والقدس بإنسان أسير لا حرية له فوجه الشبه هيئة أليمة منتزعة من متعدد. وقال في قصيدته "خواطر في ذكرى غزوة بدر" (فضلة، 2006: 20):

وأصغى إلى إبليس بعضٌ فأُعميت بصائرهم كالبُهم صارت بلا عقل

حيث شبه المشركين في رفضهم لدعوة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم– بالبهائم، ووجه الشبه عدم العقل في كل منهما، فوجه الشبه هيئة منتزعة من متعدد.

ومن تشبيه التمثيل التشبيه الضمني:

وهو تشبيه لا يستعمل فيه الركنان الرئيسيان (طرفي التشبيه) في صورة التشبيه المعروفة؛ بل يلمح إليهما تلميحا ويفهمان من سياق الكلام. ويكون المشبه به برهاناً على أن ما أسند إلى المشبه ممكن، وهو نادر الورود في شعر حسب الله. ومثاله قوله في قصيدته "خواطر في الدعوة" (فضلة، 2006: 15):

نقيضان كم يحلو لقلبي التقاهما هل الكهرباء دون النقيضين توجد؟

حيث شبه الخوف والحب مجتمعين لدى الإنسان، بالسالب والموجب مجتمعين في الكهرباء، والصفة المشتركة بينهما هي التناقض، دون أن يذكر طرفي التشبيه.

التشبيه البليغ:

وهو ما حذفت أداته ووجهه ولم يبق منه سوى المشبه والمشبه به، وهو أقوى أنواع التشبيه البسيط. لأنه يلمح تلميحاً ويجعل من المشبه والمشبه به لحمة لا تنفصل حتى كأنها طرف واحد، ولهذا النوع من التشبيه وجود في شعر حسب الله، وهذا مؤشر على طلب المبالغة، حيث يجعل من المشبه والمشبه به شيئاً واحداً. ومن ذلك قوله من قصيدته "صفحة من الكفاح والصمود" (فضلة، 2006: 83):

فسجل المجد والتاريخ ملحمة للحق تشهد أن الشيخ رئبال

فقد شبه الشاعر الشيخ عليش محمد عووضة بالرئبال، وهو الأسد الجريء، ووجه الشبه هو الشجاعة في كلٍ منهما؛ إلا أنه لم يذكر أداة التشبيه ولا وجه الشبه، وذلك على سبيل التشبيه البليغ. أو كقوله في القصيدة نفسها (فضلة، 2006: 84):

أو يحسبوا أنهم من جيشنا نزعوا ليثاً، فها نحن في الميدان أشبال

حيث شبه الشباب الناشئين في ظل تربية إسلامية صحيحة في حماسهم للشيخ عليش بالأشبال، والشبل هو صغير الأسد. إلا أنه لم يذكر أداة التشبيه ولا وجه الشبه، وذلك على سبيل التشبيه البليغ: ومن ذلك قوله أيضا في قصيدته الجنود المرابطة تحت لواء الرابطة (فضلة، 2006: 52):

هما السفينة والمختار قائدها والصحب بحارة في عهدهم صدقوا

فقد شبه القرآن والسنة بالسفينة والرسول – صلى الله عليه وسلم– بقائد السفينة، وأصحابه رضوان الله عليهم بالبحارة دون أن يذكر وجه الشبه على سبيل التشبيه البليغ.

التشبيه باعتبار وجه الشبه: الإحصاء والنسب

وجه التشبيه	التكرار	النسبة المئوية
وجه الشبه المذكور (المفصل)	110	%74,83
وجه الشبه المحذوف (المجمل)	37	%25,17
المجموع	147	%100

يتضح من خلال الجدول أعلاه أن نسبة وجه الشبه المذكور (المفصل) أكثر بكثير من نسبة المحذوف (المجمل). حيث بلغت نسبة الأول 74,83% (المفصل) ونسبة الثاني المجمل 25,17%. وهذا دليل على أن الشاعر حسب الله مهدي فضلة كان يميل إلى استعمال وجه الشبه المفصل. كما أن معظم هذين النوعين من وجه الشبه ذُكرا مفردين، مما يدل على ندرة التشبيه التمثيلي، حيث إن نسبة التشبيه غير التمثيلي هي الغالبة. كما أن التشبيه المؤكد هو الغالب في شعر حسب الله، مما يدل على قصر تشبيهاته وإخفائها، مما يتيح الفرصة للقارئ مشاركة الشاعر في استخراج المعنى. ويؤكد اتجاه الشاعر نحو الوضوح والاختصار، وهذه هي صفة الاتجاه التقليدي.

المبحث الثالث: التشبيه باعتبار أداة التشبيه

مفهوم أداة التشبيه:

أداة التشبيه هي اللفظة المستعملة للدلالة على التشبيه، ولربط المشبه بالمشبه به، كالكاف، ومثل، وشَبَه وشِبْه، وشبيه، ويشبه، وغير ذلك من أدوات التشبيه، وقد تكون أسماء أو أفعالاً أو أحرفاً. ولها دور هام في كلام العرب، وفي ذلك يقول عدنان حسين قاسم: "إنها لبنة من لبنات بنية الصورة الشعرية، ومهما يكن حجمها فإنها تؤدي دوراً له قيمته في لحمتها" (قاسم، 1988: 72) وينقسم التشبيه باعتبار أداته إلى مرسل، ومؤكد، وفي ذلك يقول صاحب الإيضاح: "وأما باعتبار أداته فإما مؤكد أو مرسل، والمؤكد ما حذف أداته" (القزويني، 1992: 246-247). كقوله تعالى: "وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۚ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ" (النمل:88)، والمرسل ما ذكرت أداته كقوله تعالى: مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ" (البقرة: ١٧).

أولاً: التشبيه المؤكد: وهو ما حذفت فيه أداة التشبيه ويدخل كذلك في هذا التصنيف التشبيه البليغ وهو ما حذفت أداته ووجهه. هذا النوع من التشبيه هو الأكثر شيوعاً في شعر حسب الله مهدي فضلة، لذلك جاءت نسبه عالية، وذلك ربما لأن الشاعر كان يريد بذلك إيجاز اللفظ وإبهام المعنى حتى يظن السامع أن المشبه هو من جنس المشبه به وهو أبلغ من المرسل. وألوانه كثيرة منها:

(أ) **ما يقع المشبه والمشبه به موقع المبتدأ والخبر.** ومن أمثلته قوله في قصيدته "رسول السلام" (فضلة، 2006: 7):

إنني زهرة بهديك فاحت يُنعش النفس نفحها المعطاء

حيث شبه نفسه بالزهرة، ووجه الشبه هو الفوحان في كلٍ منهما، ولكنه لم يذكر الأداة. فالتشبيه مؤكد، حذفت أداته، تقديره: إنني كالزهرة. وقال في قصيدته "صفحة من الكفاح والصمود" (فضلة، 2006: 84):

أو يحسبوا أنهم من جيشنا نزعوا ليثاً فها نحن في الميدان أشبال

أكد الشاعر للمستعمر أنه مهما فعل مع الشيخ محمد عليش عووضة، من تضييق وظلم ونفي، فإن الشيخ قد صنع من الشباب خلفاء له في النضال. فالتشبيه قد عقد بين المشبه (نحن) الضمير، والمشبه به (أشبال)، ووجه الشبه الشجاعة في كلٍ منهما، والأداة محذوفة لأن التشبيه بليغ وتقديرها "إنما نحن في الميدان كالأشبال". وقال في قصيدته: "رسول السلام" (فضلة، 2006: 9):

يفتدون العداة بالنفس والأقـــ صى أسير، تَغْلِي له الأحشاء

وصف الشاعر ضعاف النفوس من المسلمين بأنهم يدافعون عن أعداء دينهم بكل نفيس؛ في حين أن بيت المقدس يقع في احتلال اليهود أعداء الله. فالتشبيه قد عقد بين المشبه (الأقصى) والمشبه به أسير ووجه الشبه الذل في كلٍ، وأداة التشبيه محذوفة تقديرها: (الأقصى كالأسير). وقال في قصيدته "العربية لغتنا" (فضلة، 2006: 78):

لكنما لغة القرآن رايتنا في ذلّها الذل، في إعلائها الشمم

أشاد الشاعر بأهمية اللغة العربية في تشاد، لأنها لغة الدين الإسلامي الحنيف، ومن أراد بها سوءًا فقد أساء إلى الناس جميعاً. حيث عقد التشبيه بين المشبه (لغة القرآن) والمشبه به (راية)، ووجه الشبه الظهور في كلٍ منهما، ثم حذفت الأداة لأن التشبيه بليغ تقدير الأداة فيه (لغة القرآن كالراية في الظهور).

(ب) **المشبه به مصدر مبين للنوع:** ومنه قوله في قصيدته "بشراك يا لغة القرآن" (فضلة، 2006: 93):

وليبق تركي للأمجاد ينظمها نظم اللآلي في عقدٍ وأسـلاك
من قاد رابطة الإسلام منتهجاً حزم الإدارة في إخلاص نُساك

تمنى الشاعر (لعبد الله بن عبدا لمحسن التركي) الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي طول العمر ليزيد من أعمال البر والخير لأنه أهل لذلك. فالتشبيه قد عقد بين المشبه (الأمجاد المنظومة) والمشبه به (اللآلئ المنظومة) ووجه الشبه التركيب في كلٍ منهما، وأداة التشبيه محذوفة تقديرها (ينظمها كنظم اللآلئ).

ثانياً: التشبيه المرسل في شعر حسب الله مهدي فضلة، فقد استخدم الشاعر التشبيه المرسل في شعره استخداماً كثيراً. ومع ذلك فإن استعماله للتشبيه المرسل يأتي في المرتبة الثانية بعد المؤكد.

(أ) **التشبيه مع الأداة حرفاً:** وهو ما استخدمت فيه أداة التشبيه حرفاً، والكاف أكثرها استخداماً في شعر شاعرنا، ومن ذلك قوله من قصيدته "العربية لغتنا" (فضلة، 2006: 78):

فالضاد كالبحر يروي كل ذي ظمإٍ وفيه للغائص الياقوت والتوم

حيث شبه الشاعر اللغة العربية بالبحر، ووجه الشبه هو الفائدة في كل منها. ثم استعمل الأداة (الكاف) وهي حرف، ومن سماتها أنها تسبق المشبه به. وقال في قصيدته "صفحة من الكفاح والصمود" (فضلة، 2006: 83):

لم يحن هامته من زأرهم فبدا كالطّود يعلو وللإعصار إعوال

وصف الشاعر الشيخ عليش عووضة في مواجهته للمستعمر ومؤامراته بأنه لم يركع لضغوطاته؛ بل واجهه بأنفةٍ وإباء. فقد شبه الشيخ بالطود، ووجه الشبه هو الشموخ والأنفة في كل. والأداة المستعملة هي (الكاف) وهي حرف. وقال في قصيدته "وقفة على آثار وارا" (فضلة، 2006: 78):

صفي الجنود إذ ريعت مواطنهم هاجوا كبحرٍ من الأمواج مضطرب
صفي انبعاث الهدى كالكهرباء به رأى الطريق أناسٌ في عمى الحجب

ناشد الشاعر (وارا) بأن تصف هيبة جنود المملكة وقوتهم آنذاك، كما ناشدها بوصف انتشار الدعوة الإسلامية انتشاراً سريعاً في كل أرجاء البلاد. فالتشبيه قد عقد في البيت الأول بين المشبه (الجنود) والمشبه به (البحر)، ووجه الشبه الاضطراب والهيجان في كل منهما. والأداة المستعملة هي حرف الكاف. أما في البيت الثاني فقد عقد التشبيه بين المشبه (انبعاث الهدى) والمشبه به (الكهرباء)، ووجه الشبه الانتشار في كلٍ منهما. والأداة المستعملة هي حرف الكاف. وقال في قصيدته "رسول السلام" (فضلة، 2006: 8-9):

فاحتواهم قاع الحياة ملاذاً واعتلتهم أدناسه والجُفاء
واستطابوا مستنقع الذُّلّ كالد ود لهم فيه مرتعٌ وارتواء

وصف الشاعر الطائفة الضعيفة من المسلمين في تطلعاتها حيث رضيت بحياة الذل والهوان، وهي في حالتها هذه أشبه بالدود الذي ارتضى العيش في قيعان القاذورات. فالتشبيه قد عقد في البيت الثاني بين المشبه ضعاف النفوس من المسلمين المتمثل في ضمير(احتواهم) والمشبه به (الدود) ووجه الشبه هو الرضا بالهوان في كلٍ. والأداة المستعملة هي حرف الكاف. وتأتي الأداة كأنّ في المنزلة الثانية بعد الكاف من حيث كثرة الاستخدام في شعر حسب الله، مثال ذلك قوله في قصيدته "خواطر غزوة بدر" (فضلة، 2006: 18):

تقاذفها أيدي الطغاة كأنّها كُريَّة منطادٍ تداعب بالركل

حيث استخدم الشاعر كأنّ للربط بين طرفي التشبيه. ومن ذلك قوله في قصيدته" على ضفاف نهر النيجر" مستخدماً كأنّ للربط بين الطرفين (فضلة، 2006: 83):

كأنّا أمةٌ فرضٌ عليها تلقِّي الطعن كي يحيى العباد

ومنها قوله في قصيدته "كفالة اليتيم" (فضلة، 2006: 95):

الماء أشربه ليبرد غلّتي فكأنّما تبريده إسعار

(ب) التشبيه مع الأداة اسماً: وهو الذي تكون فيه أداة التشبيه اسماً. ومن أمثلته في شعر حسب الله قوله في قصيدته "الشهيد الحي للحق الحي" (فضلة، 2006: 18):

لم تضع قطرة الدماء هباءً مثل حبرٍ في "أوسلو" قد ضاع هدرا

المعنى: أن المقاومة الفلسطينية لم ترح سدى كما راحت اتفاقيات أوسلو.

فالتشبيه قد عقد بين المشبه (قطرة الدماء) والمشبه به (حبر)، ووجه الشبه هو الضياع في كلٍ منهما، والأداة المستعملة هي (مثل) وهي اسم. ومنها قوله في قصيدته "وقفة على آثار وارا" رابطاً بين الطرفين بمثل (فضلة، 2006: 78):

صِفي لنا مجلس السلطان مجتمعاً بشعبه مثل أبناءٍ بحجر أب

ويستخدم حاكياً في قصيدته "في آفاق القرآن" حيث يقول (فضلة، 2006: 14):

حين كان النحل يشدو حاكياً شدونا في الليل في إقرائه

فالتشبيه قد عقد بين المشبه (شدو النحل) والمشبه به (ترتيل القرآن)، ووجه الشبه هو الملازمة وحلاوة الصوت في كلٍ منهما. والأداة المستعملة هي حاكياً الذي يعمل عمل الكاف.

(ج) التشبيه مع الأداة فعلاً: وهو الذي تكون فيه أداة التشبيه فعلاً. فهذا النوع بشقيه (فعل اليقين– وفعل الشك) (الهاشمي، 1999: 223) قد ورد في شعر حسب الله مهدي فضلة بنسبة قليلة. ففي قوله من قصيدته "شاري الحزين" (فضلة، 2006: 105):

قد غاض مائي حزناً واستعضت به دمعاً، فليس بماءٍ كل ما لانا

لا ترميّني بنسيان الحبيـب إذا جازته دولتكم جحداً ونسيانا

فقد عبر الشاعر على لسان (نهر شاري) الحزين عن وفاة الشيخ والشاعر الكبير عباس محمد عبدا لواحد، لدرجة أن النهر اعتبر كل مياهه الجارية دموعاً أسفاً على فراق أحب الناس إليه، ثم طلب النهر من الشاعر ألا يعده ممن ينسون ذلك العالم الشاعر الذي أنكرته ونسيته دولته.

فالتشبيه قد عقد بين المشبه (مائي) والمشبه به (دمعاً)، ووجه الشبه الحزن في كلٍ منهما، أما أداة التشبيه فهي الفعل (استعضت) من العوض الذي يحل أحد الشيئين مكان الآخر. وهو فعل يقين.

ومنها استخدام الفعل (يحسب) في قصيدته "نفحات ولفحات" حيث يقول (فضلة، 2006: 33):

لا نرتجي من سوى الرحمن مرحمة أو تستكين لمخلوقٍ نواصينا

أعزةً وكتاب الله في يدنـــا يكاد يحسبنا الأعدا سلاطينا

أعرب الشاعر عن أنفة المسلمين وإبائهم بحيث لا يركعون إلا لله. ومن شدة تمسكهم بكتاب الله صاروا أقوياء أعزاء لدرجة يُخيّل إلى غيرهم أنهم سلاطين.

فالتشبيه قد عقد بين المشبه (المسلمون) المتمثل في الضمير المتصل بـ(يحسبنا) والمشبه به (سلاطين) ووجه الشبه: العزة والقوة في كلٍ منهما، أما الأداة المستعملة فهي فعل شك (يحسب).

وقال في قصيدته "بشراك باللغة القرآن" حيث استخدم الفعل (انقلب) (فضلة، 2006: 89):

صاغوا القيود لقتل الضاد فانقلبت تاج افتخار به الرحمن حلاّك

أعرب الشاعر عن فشل أعداء اللغة العربية في محاربتها في تشاد، حيث تحولت كل مؤامراتهم إلى أسباب انتشار وانتصار للغة العربية. فالتشبيه قد عُقد بين المشبه (القيود) والمشبه به (تاج افتخار) ووجه الشبه التحول في كلٍ منها، وأداة التشبيه فعل انقلب.

واستخدم الفعل تخيل وظن في قصيدته "حديث البدور" حيث يقول (فضلة، 2006: 126):

فهبَّ مهرولاً للقاك لمّا تخيّل فيك بدراً عنه يسأل

رأى نوراً تنزّل من علوٍ فظنّ شقيقه المفقود أقبل

تحدث الشاعر عن الحالة التي أصابته حينما افتقد شقيقه الأكبر (محمد الأمين) الذي سافر إلى ليبيا وقت الحصار، وانقطعت أخباره؛ فصار يتخيل مجيئه في كل ما يظهر له، في البدر، في النور، وفي كل شيء. فالتشبيه قد عُقد في البيت الأول بين المشبه (شقيق الشاعر) المتمثل في الضمير المتصل (بفيك) والمشبه به (بدراً) ووجه الشبه هو الظهور في كلٍ، والأداة المستعملة هنا هي فعل الشك (تخيل). أما في البيت الثاني فقد شبه الشاعر (النور) بأخيه المفقود ووجه الشبه هو الإقبال في كلٍ منهما. والأداة المستعملة هي فعل الشك (ظن).

(أ) التشبيه باعتبار أداة التشبيه، الإحصاء والنسب:

نوع التشبيه	التكرار	النسبة المئوية
التشبيه المؤكد	57	%53,77
التشبيه المرسل	49	%46,22
المجموع	**106**	**%100**

(ب) التشبيه المؤكد، الإحصاء والنسب:

نوع الأداة المستخدمة	التكرار	النسبة المئوية
الكاف	26	%53,06
كأنّ	11	%22,44
مثل	5	%10,20
يستحيل	1	%2,04
حاكياً	1	%2,04
استعضت	1	%2,04
نحيل	1	%2,04
تخيل	1	%2,04
ظن	1	%2,04
سوى	1	%2,04
المجموع	**49**	**%100**

يتضح من الجدول رقم (أ) أعلاه أن التشبيه الذي حذفت منه الأداة أكثر وروداً في شعر حسب الله مما لم تذكر فيه الأداة، كما يتضح من الجدول رقم (ب) أن الكاف هي أكثر أدوات التشبيه استخداماً، تليها كأنّ، ثم مثل، ثم تأتي الأدوات الأخرى بنسب ضئيلة ومتساوية.

ويستنتج من ذلك أن حسب الله مهدي فضلة كان يؤكد الصورة بإكثاره من حذف الأداة ليختصر للقارئ المعنى الذي يقصده. وهذا دليل اعتماد الشاعر على الإيجاز الذي يتماشى مع اتجاهه التقليدي الكلاسيكي.

الخاتمة:

بدأ الباحث دراسته التي عنوانها التصوير التشبيهي ودلالاته في شعر حسب الله مهدي فضلة بعرض كل أشكال التشبيه وألوانه المختلفة التي وردت في شعر حسب الله مهدي فضلة وكان ذلك في ثلاثة محاور. واستمرت الدراسة وفق المنهج الذي اختير لها، والخطوات التي خطط لها، فخلصت إلى النتائج الآتية:

- استخدم الشاعر التشبيه بألوانه الحسي والعقلي والمختلف هو أكثر أنواع الصور وروداً في شعره، أما في التشبيه الحسي فإنّ تشبيه المبصر بالمبصر هو الأكثر شيوعاً، ثم يليه الملموس بالملموس، ثم المذوق بالمذوق، وأخيراً المسموع بالمسموع وهو نادر. كما أن تشبيه المفرد بالمفرد هو الغالب، ثم يليه المتعدد فالمركب.

- أما في وجه الشبه فإنّ التشبيه المفصل أكثر شيوعاً من المجمل، وهذا دليل على إيضاح الشاعر للصورة، كما أن تشبيه التمثيل نادر في حين أن التشبيه غير التمثيل هو الشائع.
- أما في أداة التشبيه فإنه كان يستخدم التشبيه المؤكد أكثر من المرسل والمرسل أكثر من البليغ، مما يدل على قصر الصور ووضوحها، لأنه صاحب رسالة يريد إيصالها بكل يسر وسهولة.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا. القرآن الكريم.

ثانيًا. المراجع العربية.

- ابن الأثير (د.ت): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد الحوفي، مطبعة الرسالة، بيروت.
- بدوي، أحمد أحمد (1966): أسس النقد الأدبي عبد العرب، نهضة مصر للطباعة.
- الشايب، أحمد (1966): الأسلوب، (ط6) مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- الآمدي، الحسن بن بشر الآمدي البصري (2006): الموازنة بين أبي تمام والبحتري. ط1، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان.
- امرئ القيس، حجر ابن الحارث (د.ت): ديوانه، تحقيق أبو الفضل (ط4)، دار المعارف، مصر.
- طبانة، بدوي (1963): البيان العربي، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر.
- التفتازاني، سعد الدين (1037): شروح التلخيص على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، ومواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي، وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي، دار النشر، بيروت، لبنان.
- التيجاني، الحاج مكي عبد الله (د.ت): طريق الهدى والرشاد في التصوف القويم، دار طيبة للطباعة، أنجمينا، تشاد.
- الجاحظ، عمرو بن بحر (د.ت): البيان والتبيين، ج1، تحقيق فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، لبنان.
- الجبوري، جميل عائد (د.ت): دراسات في الحضارة الإسلامية، الطبعة الأولى، القاهرة.
- الجرجاني، أبوبكر عبد القاهر بن عبد الرحمن محمد (1988): أسرار البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت.

- الجرجاني، أبوبكر عبد القاهر بن عبد الرحمن محمد (د.ت) دلائل الإعجاز، تعليق: محمود محمد شاكر، القاهرة.
- عبد الرازق، حسن إسماعيل (2006): البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع، ط1، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.
- حسن، حسن محمد (1425هـ- 2004م): تاريخ الشعر التشادي، الطبعة الأولى، دار طيبة للطباعة، أنجمينا، تشاد.
- الحموي، ابن حجة الحموي (1987): خزانة الأدب وغاية الإرب، الطبعة الأولى، مكتبة الهلال، بيروت.
- الخطيب القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن (1412هـ - 1992م): الإيضاح في علوم البلاغة، دار إحياء العلوم، بيروت.
- الخطيب القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن (1428هـ - 2008م): تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت- لبنان.
- الخفاجي، ابن سنان (د.ت) كتاب سر الفصاحة، دراسة وتحليل: عبد الرازق أبو زيد زايد، مكتبة الشباب.
- ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر (د.ت): وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.
- الدّكو، فضل كلود (1998): الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، الطبعة الأولى.
- سقال، ديزيره (1997): علم البيان بين النظريات والأصول، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، بيروت.
- الزمخشري، الإمام أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد (1415هـ - 1995م): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج4، ط1، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية.
- الزمخشري، الإمام أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد (1412هـ - 1992م): أساس البلاغة، دار صادر، بيروت.
- ابن زملكان (1383هـ - 1964م): التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن، تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد.

- السكاكي، أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد (د.ت): مفتاح العلوم، تحقيق حمدي محمدي قابيل، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
- الهاشمي، السيد أحمد (1420هـ-1999م): جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، مكتبة الإيمان، المنصورة.
- دحلان، السيد أحمد بن زينى (1355هـ-1937م): مجموع خمس رسائل لدحلان، مطبعة مصطفى محمد، مصر.
- سيد قطب (1982): التصوير الفني في القرآن، (ط7)، دار الشروق، بيروت.
- شفيع السيد (1987م): تجارب في نقد الشعر، مكتبة الشباب، القاهرة.
- الصابوني، محمد علي (1992): تفسير روائع البيان، (ط2)، دار العلم، دمشق.
- الصابوني، محمد علي (ب.ت): صفوة التفاسير، ط9، دار الصابوني، القاهرة.
- الصفدي، صلاح الدين خليل ين أيبك (1420هـ-2000م): كتاب الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان.
- طرخان، إبراهيم علي (1975): إمبراطورية البرنو الإسلامية، الهيئة العامة للكتاب، مصر.
- البرقوقي، عبد الرحمن (1980م): شرح ديوان المتنبي، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت.
- عبد العزيز، عتيق (1405هـ-1985م): علم البيان بين النظريات والأصول، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.
- عثمان، عبد الفتاح (1413هـ-1993م): التشبيه والكناية بين التنظير البلاغي والتوظيف الفني، مكتبة الشباب.
- لاشين، عبد الفتاح (1397هـ-1977م): البيان في ضوء أساليب القرآن، دار المعارف، القاهرة.
- العدل، عبد الهادي (1378هـ-1958م): دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر في التشبيه والتمثيل والتقديم والتأخير، (ط2)، دار الطباعة المحمدية، القاهرة.
- قاسم، عدنان حسين (1408هـ-1988م): التصوير الشعري رؤية نقدية لبلاغتنا العربية، (ط1)، مكتبة الفلاح، الكويت.
- العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن معدان (1952): كتاب الصناعتين، الطبعة الأولى، دار المعارف، القاهرة.

- العلوي، يحيى بن حمزة (1400هـ-1980م): الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم خصائص الإعجاز، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الأصفهاني، أبو فرج (د.ت) الأغاني، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر، بيروت.
- عبد الله، فضل حسن (2005): البلاغة فنونها وأفنانها، البيان والبديع، الطبعة الأولى، دار الفرقان، الأردن.
- فضلة، حسب الله مهدي (2006): نبضات أمتي (ديوان شعر)، الطبعة الأولى، أنجمينا – تشاد.
- علي، فكتور الكك أسعد أحمد (1401هـ-1981م): صناعة الكتابة، (ط4)، دار السؤال، دمشق.
- بن جعفر، قدامة (د.ت): نقد الشعر، تحقيق: كمال مصطفى، (ط2)، مكتبة الخانجي، مصر.
- القيرواني، أبي الحسن بن رشيق (1401هـ-1981م): العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، (ط5)، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، لبنان.
- الماحي، عبد الرحمن عمر (1982): تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال 1900م – 1960م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.
- الماحي، عبد الرحمن عمر (د.ت): المجتمع التشادي في عهد الاحتلال الفرنسي 1918 – 1960م، مجمع اللغة العربية (د.ت): المعجم الوسيط، (ط3)، دار عمران، بيروت.
- شيخون، محمد (1404هـ-1984م): الاستعارة نشأتها وتطورها (ط2)، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر.
- المراغي، أحمد مصطفى (1406هـ-1986م): علوم البلاغة، البيان والمعاني والبديع (ط2)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ابن المعتز، عبد الله (1956): طبقات الشعراء، تحقيق: عبد الستار أحمد فرج، دار المعارف للطباعة والنشر، مصر.
- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم (1410هـ-1990م): لسان العرب، الطبعة الأولى، دار صادر للطباعة والنشر.
- سلطان، منير (2002): الصور الفنية في شعر المتنبي، دار المعارف، الإسكندرية.
- الوصيف، إبراهيم الوصيف هلال (2006): التصوير البياني في شعر المتنبي، (ط1)، القاهرة.

- **المجلات العلمية:**

- حمدنا الله، عبد الله (2002م-1423هـ): أولية الشعر التشادي، دارسات إفريقية، مركز البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة إفريقيا العالمية، مجلة بحوث نصف سنوية، العدد (8).
- عبد العزيز، محمد (2005): أطلس العالم للأطفال والناشئين، القاهرة، دار الطلائع للنشر والتوزيع.
- الأصفهاني، نبيه (1979): أزمة تشاد بين الصراع المسلح والمصلحة الوطنية، القاهرة، مجلة السياسة الدولية، مطبعة الأهرام.
- **الرسائل والبحوث العلمية:**
- الجودلية، بابكر إبراهيم (1427هـ-2007م): الصور البيانية في شعر إبراهيم بن هرمة، الخرطوم، جامعة أم درمان الإسلامية، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في البلاغة والنقد.
- حِدربي، محمد أحمد حامد إسماعيل (1420هـ-2000م): التصوير البياني في شعر مسلم بن الوليد الأنصاري، الخرطوم، جامعة أم درمان الإسلامية، بحث مقدم للحصول على درجة الدكتوراه في البلاغة والنقد.
- سليمان، النعيم أحمد (1427هـ-2007م): الصور البيانية في ديوان أسلاك الجوهر للشوكاني، الخرطوم، جامعة أم درمان الإسلامية، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في البلاغة والنقد.